مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية الرحلات الحجازية

د. فوزية كراز *

الملخص:

ارتبط المغاربة بالمشرق الإسلامي روحياً بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فصاروا يترددون إليه لأخذ العلوم المتعلقة بالدين الإسلامي واللغة العربية، ولأداء فريضة الحج قبل كل شيء.

ما نريد معالجته في المداخلة هو الطريق الذي سلكه الحجاج المغاربة للوصول إلى مكة المكرمة، هل هو طريق ثابت أم متغير؟عالجنا الموضوع من خلال تسليط الضوء على مجموعة من الرحلات المغاربية المعروفة بالرحلات الحجازية لفترات تاريخية مختلفة، وهي رحلة ابن جبير الأندلسي ت ٥٤٠-٦١٤هـ/١١٣٥-١٢٢٧م. ورحلة العبدري ت بعد 700 هـ ورحلة العياشي ت ١٠٣٧ - ١٠٩٠هـ/١٦٢٨-١٦٧٩م

تبين من خلال هذه الرحلات أن الطريق لم يكن نفسه، وإنما تعدد بين الطريق البحري بركوب البحر الأبيض المتوسط إلى غاية الإسكندرية مروراً بأراضي مصر فالبحر الأحمر، في حين أغلب المغاربة اعتمدوا المسلك البري الذي تنوع هو الآخر بين الطريق عبر المناطق الداخلية، والطريق الصحراوي. وتجدر الإشارة أنه لم يكن أي مسلك من المسالك المذكورة خالياً من المخاطر الطبيعية والبشرية، كما أنها تشترك في عبور مصر، إذ أن سواحل الشام كانت بقبضة الصليبيين، وعليه يمكن الاستخلاص أن طرق الحج من المغرب الإسلامي تعددت وتحكم في ذلك مجموعة عوامل منها السياسية والعسكرية الدولية بالدرجة الأولى.

الكلمات المفتاحية:

أدب الرحلة، ابن جبير، العبدري، العياشي، الحجيج، المغاربة، المسالك، المغرب الإسلامي، حوض المتوسط، الأطلس التلي، الطريق الصحراوي،الإسكندرية، المخاطر.

Abstract:

The Muslims of North Africa Maghribiansare always attached to the Middle East Al Maghriq, by spiritual links, they usually travel seeking sciences of religion and language however they travel to visit the holly lands, Makkah and Medina, this visit is considered as a religious duty it is the fifth pillar of Islam, it is the Pilgrimage Hadj. In this paper, I will follow the itinerary of the pilgrims especially the travellers who had describe their journeys, from their homelands in Maghreb to Hidjaz in order to know about how manyroads were linking the West to the East. Al Abdaryd. and Al Ayashi are the most writer of al Rihla al Hidjaziya *the Hidjazy itinerary*.

(*)جامعة معسكر، الجزائر.

According to the sources, some of the pilgrims took the way of the sea, from the costliness cities of the Maghreb, to Alexandrea then to the red sea. Some others prefer less naturalrisks, Christian pirates, and they took the land road crossing the desert of Libya and Egypt. Many political security factors and economical and socials situations were the elements thatdetermined the ways between the west and the East of the Islamic world.

تمهيد:

كان المغاربة لا سيما منهم العلماء مولعون بالرحلة نحو المشرق الإسلامي لأهداف علمية ولأداء فريضة الحج الذي جعلها الإسلام ركناً من أركانه. والمسلم وهو يفكر في الثوابت التي تجعل منه مسلماً مثالياً تنتصب في مخيلته مكة المكرمة والكعبة المشرفة، ومن هنا يكون الأمل الأول من الزيارة هو زيارة الأماكن المقدسة، وهو سر توجه المغاربة إلى المشرق. ولم يعجزهم قصد تلك الديار ما يصلهم عنها من صعوبة المسالك إليها وأخبار المهالك والضياع في الفيافي والقفار، أو الموت نتيجة الأوبئة الفتاكة وأخبار ممن أقبروا على طول الطريق، وما وردهم عن ابتلاع البحر لعدد كبير.

إلا أن علماء المغرب الإسلامي لم يكتفوا بأداء المهام التي رحلوا لأجلها، وإنما فضلوا تسجيل انطباعاتهم وتصوير مشاهداتهم لنقل الفائدة للآخرين، فخلفوا لنا أدب الرحلات التي عرفت بالرحلات الحجازية، والذي يعتبر من أخصب فنون الكتابة الأدبية، ومصدراً من أهم المصادر المعوّل عليها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والجغرافي بالدرجة الأولى.

وقد تنوع تدوين الرحلات بين المنظوم والمنثور والفصيح والعامي والمسهب والمقتضب[1]. كما تنوعت المواضيع المسجلة عند الحجاج المغاربة بين تسجيل للحركة العلمية وممن التقوا بهم من علماء العصر، وكذا المنشآت المعمارية، كما اهتموا بتسجيل بعض المظاهر الاجتماعية والاقتصادية مما صادفوها، وجاءوا على ذكر الجوائح على اختلافها، مع تسجيل ملاحظات عن النظم السياسية وتعاقب الأسر على الحكم وكيفية تسيير دواليبه، فضلاً عن قصص شعبية في غاية الطرافة. لهذا جاءت الرحلات المغاربية على اختلافها ذات قيمة علمية تاريخية في مجالات شتى، فتميزت بميزة شمولية الموضوعات.

وفي المقارنة بين عدد الذين دوّنوا رحلاتهم الحجازية من أطراف العالم الإسلامي عبر التاريخ، توصل إلى أن الغرب الإسلامي في العصرين الوسيط والحديث سجل رقماً قياسياً في ذلك مقارنة ببقية مناطق العالم الإسلامي[2]، ولعل مرد ذلك إلى بعد المسافة بين المغرب والحرمين الشريفين[3].

ويلاحظ أن تاريخ المغرب خاصة في القرن السابع والثامن الهجري وما بعد حفل بلائحة طويلة ممن كتبوا في الرحلة الحجازية، أمثال ابن جبير والعياشي والعبدري وابن بطوطة وغيرهم.

الإشكال: ما نريد معالجته في هذه المداخلة العلمية، هل الطريق المؤدي للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج من قبل المغاربة والأندلسيين هو ثابت ونفسه تكرر في كتب رحلات المغاربة للقرن السابع والثامن والحادي عشر الهجري، ألم يتغير نتيجة لظروف طبيعية أو سياسية، خاصة وأن الحجاج المغاربة عرفوا أثناء

طريقهم للحج إهانات وتعسفات لا سيما بالمراكب الأجنبية بعدما ضعف وتعطل الأسطول المغربي، وبالأخص لما فرضت المحاجر الصحية إجراءاتها الصارمة لتفادي انتشار الوباء.

في محاولة منا لمعالجة الإشكال تطرقنا لثلاث رحلات كنماذج وهي رحلة ابن جبير ورحلة العبدري والعياشي، ولم يكن اختيارنا لهذه الرحالات دون غيرها اختياراً عشوائياً أو من قبيل الصدفة، بل تحكم فيه غرض تنويع الطرق من برية وبحرية لفترات تاريخية حرجة إلى حد ما في تاريخ الغرب الإسلامي. وثمة عامل لا يقل أهمية وهو اختيار الرحلات التي أصحابها انطلقوا برحلاتهم بهدف أداء مناسك الحج أولاً، وبالتالي طريقهم كان مباشراً من مدينة الانطلاق نحو بلاد الحجاز فأوضحوا لنا المسلك المباشر. في حين الكثير من أصحاب الرحلات الحجازية كان أداء فريضة الحج آخر مرحلة من رحلتهم لبلاد المشرق الإسلامي، بحيث سبقوه بالديار المصرية والشامية والعراقية للاستزادة في العلم، لكن لم يمنع ذلك في من تبيان مسالكهم نحو الحجاز انطلاقا من تلك الديار.

وتجدر الإشارة إلى أننا اقتصرنا على خط الذهاب دون الإياب، وذلك لأن عودتهم للديار لم تكن مباشرة، وإنما منهم من استقر هناك ومنهم من طالت إقامتهم بالديار المشرقية المختلفة لنهل العلوم وكذا تقلد المهام العلمية كالتدريس والجلوس للإفتاء والقضاء، وهناك من وافته المنية بالديار المشرقية.

ومن خلال نماذجنا الثلاث للرحلات تبين أن طرق الحج تنوعت ما بين البحرية والبرية وهي كالتالي:

١- الطريق البحري:

شكل الحوض المتوسط جزءلً كبيراً من طريق ركب حجاج بلاد الأندلس وبعض حجاج بلاد المغرب الإسلامي، ولتوضيح هذا المسلك البحري اعتمدنا رحلة ابن جبير٥٤٠-٦١٤هـ/١١٣٥-١٢٢٧م إلى بلاد الحجاز لتأدية فريضة الحج[٤] ؛ إذ وضح لنا هذا الأخيرسير رحلته[٥]بشكل دقيق، وعمل على الإشارة بدقة لكل جزئيات الرحلة، وحدد تواريخ الوقائع، وكان من الناحية الفنية ذروة ما بلغه نمط الرحلة في الأدب العربي[٦].

بدأ ابن جبير رحلته انطلاقا من غرناطة في ٨ شوال ٥٧٨هـ/١٤ فبراير ١١٨٣م متوجها نحو السواحل المغربية، فوصل إلى سبتة بالمغرب الأقصى، ومنها ركب البحر بمعية الحجاج هناك، مع أن ركوبه لم يكن مضموناً بل ينتظر الحجيج في المراسي التي تستقبل السفن في انتظار الإقلاع، دليل ما ذكره ابن جبير وهو بسبتة قوله: "وألفينا بها مركباً للروم الجنويين مقلعاً إلى الإسكندرية بحول الله عز وجل، فسهّل الله علينا في الركوب فيه"[٧]. وكان الانطلاق في يوم الخميس ٢٩ من نفس الشهر[٨].

ونعتقد أن استعمال البحر في هذه الحقبة التاريخية من المجازفات؛ إذ بالرجوع إلى المعطيات التاريخية لذات الحقبة تبين أن البحر الأبيض المتوسط كان تحت السيطرة الأوربية عسكرية في جزئه الشرقي حيث كانت سواحل الشام بقبضة الصلبيين[٩] وتجارية في جزئه الغربي التي كانت نتيجة انتعاش في العلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي وجمهورية بيزا وجنوة الإيطاليتين[١٠].إلا أن المراكب المستعملة في ذلك هي المراكب البيشية والجنيوية، لهذا يضطر الحجاج الذين يفضلون الطريق البحري

امتطاء المراكب الإيطالية، وهذا الأمر يحتم دون شك فرض ضريبة باهظة على الركاب وكذا سلعهم وبالتالي الرحلة كانت مكلفة.

انطلقت السفينة من سبتة مروراً بجزر المتوسط دانية ويابسة ومنورقة وميورقة[١١] وسردانية فصقلية ومنها إلى الإسكندرية، فقدرت مدة بقائه على السفينة بالبحر المتوسط بثلاثين يوماً أي من يوم الخميس ٢٩ شوال إلى ٢٩ ذي القعدة من سنة ٥٧٨هـ الموافق ل ٢٤ فبراير إلى ٢٦ مارس١١٨٣م[١٢]، وما كان يقدر المسافة لولا أنه كان حريصاً على تسجيل التواريخ في حينها وكتابة الرحلة في شكل مذكرات يومية، حتى أنه يقر بذلك في بداية كتابة الرحلة بقوله:" ابتدئ بتقييدها يوم الجمعة الموافي ثلاثين لشهر شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمئة على متن البحر بمقابلة جبل شلير"[١٣] وبالتالي مستبعد تماماً ما أشارت إليه إحدى الدراسات إلى أن تدوين الرحلة لم يكن إلا بعد انتهائها وعودته لوطنه غرناطة بعد سنتين ٥٨١هـ/١١٨٥م[١٤].

ومن الإسكندرية ركب النيل إلى القاهرة، ومنها إلى صعيد مصر وصولا إلى آخر مدنها قوص ومنها إلى عيذاب*والمسافة بينهما تقدر بمسير عشرين يوما أو ما دونها بقليل[١٥] ومرفأ عيذاب هو المعهود لدى الحجاج على البحر الأحمر، ثم النزول بجدة ومنها أخذ قافلة نحو مكة المكرمة فوصلها يوم الخميس ١٣ ربيع الآخر الموافق ٤ أوغشت[16]. وبها استقر به المقام مدة قرابة نصف سنة.

مصاعب هذا المسلك:

دوّن لنا صاحب الرحلة كل المصاعب الطبيعية والعراقيل البشرية التي تلقاها بمعية ركب الحجيج العابر لهذا المسلك، فسجل الكوارث الطبيعية التي هددت السفينة على السواحل السردينية والصقلية تمثلت في سوء الأحوال الجوية، لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الرحلة كانت في نهاية فصل الشتاء وبداية الربيع لهذا تعرض مركبهم لخطرين متتالين متقاربين زمنياً. فعن الأول قال : "وطرأ علينا من مقابلة البر في الليل هول عظيم....وقام علينا نوء هال له البحر صبيحة يوم الثلاثاء– ١١ ذي القعدة ٥٧٨هـ/١١٨٣م[17]، وعن الثاني بتاريخ ١٩ ذيالقعدة وصفه قائلا:"... عصفت علينا ريح هال لها البحر وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة كأنه شآبيب سهام، فعظم الخطب واشتد الكرب وجاءنا الموج من كل مكان أمثال الجبال السائرة....واليأس قد بلغ منا مبلغه....."[18]

ما يمكن قوله أن مخاطر البحر ليست ثابتة ودائمة، كما أن راكب البحر ليس بمأمن منها.

أما ما يكاد يكون ثابتاً من الصعوبات والمخاطر تلك الناتجة عن سلوكات البشر، فقد عدد لنا ابن جبير المراكز التي تعرض فيها الركب لمضايقات وهي:

– أبدى استياءه من معاملة رجال الديوان بالإسكندرية للحجاج قصد جمع الزكاة دون التحقق من استو جابها كما لم يراع إن بلغت النصاب أم لا، بل فتشوا واستحلفوا الركاب وأخذوا منهم ما أمكن، ولأن الطريقة كانت خسيسة ومذلة علّق عليها صاحب الرحلة بقوله: "....ثم أطلقوا بعد موقف من الذل والخزي عظيم، نسأل الله أن يعظّم الأجر بذلك"[19].

– دام مركب الحجاج بنهر النيل مدة ١٨ يوماً، خلالها مر بمجموعة من مدن الصعيد كأسيوط، أبو تيج وأخميم* ومنية أبو الخصيب وقنا وقفط ** وقوص، وتعرض في بعض منها –اخميم، منية أبو

الخصيب و قوص– إلى تفتيش الركاب برسم الزكاة[20]، وأبدى ابن جبير استياءه من تلك المعاملة التي هي شبيهة باللصوصية عن استخلاص الزكاة[21]، ولم يشر من هؤلاء بالضبط، هل هم عمال الجباية وجامعو الزكاة أم كانوا لصوصاً، على عكس ما أشارت إليه إحدى الدراسات إلى أنهم رجال جمارك أنزلوا الحجاج من مراكبهم، وأخضعوهم للتفتيش[22].

ويبدو أن هؤلاء تمادوا؛ بحيث كان الأعوان يصعدون المركب وفي أيديهم المسال الطوال ذوات الأنصبة للتفتيش، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل وصل بهم إلزام الركاب أداء الأيمان على ما بأيديهم " وهل عندهم غير ذلك ويحضرون كتاب الله العزيز تقع اليمين عليه"[23].

ووصف هذا الحال صاحبنا بمواقف خزي ومهانة يتعرض لها الحجاج[24]، وهذا برسم الزكاة دون مراعاة محلها أو أن أدرك النصاب منها. ويؤكد صاحب الرحلة أن صلاح الدين الأيوبي لم يعلم ذلك لو أدركه لقطعه[25]،وهذا لأنه كان منشغلاً في حروبه مع الصلبين بالسواحل الشامية، وهو الطارئ الذي منع الحجاج سلك مسلك السواحل الشامية إلى بلاد الحجاز مروراً بالعراق هو المسلك المفضّل بحسب إقرار ابن جبير وهذا أثناء حديثه عن مصاعب صحراء عيذاب[26].

–أول المصاعب بصحراء عيذاب التي يتعرض لها الحجاج كانت طبيعية؛ إذ العيش بالمنطقة صعب لقلة الأغذية بها أو انعدامها فالطعام إليها مجلوب وكذلك الماء[27].

ويضاف لها المخاطر المتسبب فيها أهلها لاجتياز البحر إلى ساحل جدة؛ بحيث غالبهم يسترزقون من الخدمات المقدمة للحجاج لا سيما اكتراء الجلاب نوع من مركوب البحر، وهو ضعيف الصنع[28]، وما زاد الأمر سوء أنه يشحن بالحجاج أكثر من طاقة حمولته، مما يجعل حياتهم عرضة للخطر، حتى ضرب مثل على ذلك وهو" علينا بالألواح، على الحجاج بالأرواح"[29]. وقبل ذلك يؤخذ على الحجاج المغاربة مكساً يقدر بثمانية دنانير من الذهب على كل رأس ومن لم يدفع يغرم[٣٠].

مما تقدم عرضه نستطيع الجزم أن الطريق البحري لحجاج المغرب الإسلامي في القرنين ٦–٧ هـ/ ١٢–١٣م ينعطف إلى الإسكندرية، مرورا بمرفأ عيذاب ومنه نحو جدة عبر البحر الأحمر، في حين لم تعتمد السواحل الشامية إلا عند الحاجة، بدليل في رحلة ابن بطوطة في القرن ٨هـ/١٤م لم يسلك السواحل الشامية إلا بعدما تعذر عليه وصول مكة انطلاقا من مرفأ عيذاب الذي شهد حينها حربا بين سلطان البجة والأتراك، فأشار إلى مركز الجمارك المتواجد على الحدود بين مصر والشام بعد العريش وهو مركز قطيا الذي يجرى فيه التفتيش فيقول:" وبها تؤخذ الزكاة من التجار ونفيس أمتعتهم ، ويبحث عما لديهم أشد البحث، وفيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ...ولا يجوز عليها أحد من الشام إلا ببراءة من مصر ولا إلى مصر إلا ببراءة من الشام"[٣١].

جدول توضيحي:

تاريخ مسار ركب الحجيج حسب رحلة ابن جبير

٥٤٠-٦١٤هـ/١١٣٥-١٢٢٧م

التاريخ	مكان الانطلاق أو الوصول	ملاحظات
الخميس ٨ شوال ٥٧٨هـ/٣ فبراير.	الخروج من غرناطة	
–الإثنين ٢٦ شوال	–الوصول إلى جزيرة طريف	
– الثلاثاء ٢٧ شوال	– اجتياز البحر إلى قصر مصمودة	
–الأربعاء ٢٨ شوال	– الإقلاع نحو سبتة	
–الخميس ٢٩ شوال/٢٤ فبراير	– الخروج من سبتة	
– الجمعة ٧ ذي القعدة	–مقابلة بر جزيرة يابسة	
–السبت ٨ ذي القعدة	–مقابلة بر جزيرة ميورقة	
–الأحد ٩ ذو القعدة	– مقابلة بر جزيرة منورقة	
الأربعاء ١٢ ذو القعدة/ ٩مارس	– الإرساء بمرسى بقو سمركة من جزيرة سردينيا	هول عظيم بسبب ريح قوي ومطر غزير
الثلاثاء ١٨ ذو القعدة ١٥ مارس	– الخروج من سواحل سردينيا	
الأربعاء ١٩ ذو القعدة		ليلة أشد هولاً وأعظم كرباً
الخميس ٢٠ ذو القعدة	محاذاة جزيرة صقلية	
الجمعة ٢١ ذو القعدة	الإقلاع من ساحل صقلية	
الثلاثاء ٢٥ ذو	محاذاة بر جزيرة أقريطش كريت	

القعدة /٢٢ مارس	من جزر اليونان	
السبت ٢٩ ذو القعدة/٢٦ مارس	الإرساء بمرسى الإسكندرية	**التعسف في استخلاص الزكاة**
الأحد ٨ ذو الحجة ٣ أبريل	–وصول الدمنهور	
–الاثنين ٩ ذو الحجة	اجتياز النيل إلى برمة	
– الثلاثاء ١٠ ذو الحجة	وصول طندتة طنطا	
– الأربعاء ١١ ذو الحجة	قيلوب–المنية –القاهرة إلى مصر	
– الأحد ٦ محرم٥٧٩هـ	من مصر إلى الصعيد عبر النيل	– التعرض لمراكب الحجاج وأخذ ما عندهم من مال
الخميس ٢٤ محرم /١٩ ماي	الوصول إلى قوص	
السبت ٢ ربيع الأول	الوصول إلى عيذاب	شظف العيش/ صعوبة اجتياز البحر الأحمر
الثلاثاء ٤ ربيع الآخر/ ٢٦ يوليو	النزول بجدة	استغلال الحجاج ماديا
الخميس ١٣ ربيع الآخر / ٤ أوغسطس	– دخول مكة المكرمة	

تعليق على الجدول:

– كان ابن جبير مهتم بتسجيل تواريخ السفر من محطة لأخرى، كما سجل تواريخ أهم الأحداث التي صادفته أثناء الرحلة لأنه دوّن الرحلة على شكل مذكرات يومية.

– استغرقت الرحلة مدة 7 أشهر، منها شهر في حوض المتوسط، وهي مدة قياسية باعتراف منه غير معتادة.

2 – الطريق البري:

اتضح أن الطريق البري لم يكن واحداً، إنما تعدد إذ كشفت لنا الرحلات المغربية ذلك ولاستخلاصه عوّلنا على رحلتين وهما:

أ.عبر الأطلس التلي:

استخلص هذا الطريق من رحلة العبدري توفى بعد٧٠٠هـ /١٣٠٠م[32]، الذي أعطانا صورة حية عن قوافل الحج البرية، وعن محطات التوقف العديدة على امتداد الطريق التي نزل بها الركب طلبا للراحة والتزود بالمؤن والماء.

انطلقت رحلته من موطنه حاحة سنة ٦٨٨هـ[33] وصولاً إلى أعالي بلاد السوس، ومنها إلى بلاد القبلة نحو تلمسان، ومنها إلى مليانة على وادي شلف وصولاً إلى جزائر بني مزغنة ثم بجاية، ومنها إلى ميلة * ثم قسنطينة، دون أن يذكر تواريخ الوصول والانطلاق إلا نادراً، وقد يرجع ذلك إلى مقامه الطويل بهذه المدن من المغرب الأوسط، واللقاء بعلمائها ومجالستهم والأخذ عنهم، حتى طغى الوصف العلمي والمكانة العلمية للمدن أكثر من أي شيء آخر، فجاء الكتاب ذا طابع علمي أدبي. ونعتقد أنه السبب في عدم ذكر صعوبة المسلك في جزئه بالمغرب الأوسط؛ بحيث كان جبلياً صعب اجتيازه، كانت هذه ميزة مسالك المناطق الداخلية والساحلية للمغرب الإسلامي، وهو من العوامل التي أخرت من عملية الفتح الإسلامي به.

ومن قسنطينة توجه إلى بونة، ومنها إلى باجة بالأراضي التونسية، ثم دخول مدينة تونس، وفي هذه المدينة يخيّر العبدري المسافرين بين مسلكين، إما مواصلة الطريق عبر البحر، وإما المسلك الشبه الصحراوي، وذاك الذي اختاره الركب الذي كان بمعيته[34]. وقد يفسر اختياره للطريق البري ما بعد تونس على قفره في معظمه بسيطرة الجمهوريات الإيطالية على الحوض المتوسط[35] مما يكلفهم ذلك ضرائب باهظة، فضلاً عن ركوبها يحتاج انتظاراً قد يطول، في حين ترجع إحدى الدراسات سببه إلى كراهية العرب المعهودة لركوب البحر[36].

كانت مدينة القيروان محطته بعد تونس، ومنها نحو قابس ثم قريتي زوارة وزواغةمروراً ببرية المراحل الحمر وهي أقل البراري خطورة وضرراً [37]، ثم إلى طرابلس التي وجدوها في نزاع بين عرب البر ونصارى البحر[38]، مما يوحي إلى أن اجتيازها كان نوعاً ما صعباً، وقد لا يكون إلا بخفارة، ثم إلى مصراتة فسرت*، في كل هذا لا يذكر المسافات إلا نادراً، في حين أسعفتنا بعض المصادر الجغرافية بذكر المسافات، فقد قدرت المسافة من طرابلس إلى سرت ب 230ميل ما يعادل11مرحلة[39]. ثم إلى الإسكندرية وبينها وبين برقة مسير عشرون يوما، .وتقدر المسافة بينهما ب 21 مرحلة، ما يعادل 550 ميل والأرض التي بينهما تسمى أرض برنيق[40]، ومنها نحو القاهرة، وهنالك أبدى حاكم مصر اهتمامه بركب الحجيج[41].

يتواصل السير براً من مصر إلى الحجاز، وهو مسيرة 40 يوما، وكان انطلاق الركب من موضع يعرف بالبركة يوم الثلاثاء 18 شوال، وهو على نحو 10 أميال من مصر، وفيها يجتمع الحجاج للانطلاق.[42] وأول محطات هذه البرية منطقة أيلة*، وهي في عداد كور مصر[43]، وهي نصف الطريق من فسطاط مصر إلى مكة، وقيل منها إلى مكة نصف شهر[44]. وصولا إلى ينبع* بعد المرور بمغارة شعيب وجبل كفافة، ويقال عنها نصف الطريق من مصر إلى مكة[45] والحوراء وأكرا والمغيرة[46]، والبزواء والجحفة[47]. ثم الوصول إلى مكة بعد اجتياز بعض أعمالها، فدخلها الركب مكة يوم الاثنين السابع ذي الحجة 669 هـ[48].

مخاطر هذا المسلك:

الظاهر أن هذا الطريق اشتمل مصاعب جمة، وما أورده صاحب الرحلة إلا بعضها، أو اختصرها، وقد يكون ذلك بسبب اهتمامه بالعلم والعلماء أكثر من أي شيء آخر، فقد جاء الكتاب حافلا

بهما، في حين هول المصاعب والمخاطر اشتملها في مقدمة كتابه بقوله: "أوليس من الأمر الأمر الخارج عن كل قياس، أن المسافر عندما يخرج من الأقطار مدينة فاس لا يزال إلى الإسكندرية في خوض الظلماء، وخبط عشواء لا يأمن على ماله ولا على نفسه، ولا راحة في غده إذ لم يرها في يومه وأمسه يروح ويغدو لحماً على وضم، يظلم ويجفى ويهتضم، تتعطاه الأيدي الغاشمة، وتتهاده الأكف الظالمة، لا منجد له ولا معين، ولا ملجأ يعتصم به المسكين....."[49]

كانت المفازة* مابين فاس إلى تلمسان أول مخاطر الطريق التي واجهها الركب، فهي بحسب قول العبدري: " ولما انتهينا إلى المفازة التي في طريق تلمسان وجدنا طريقها منقطعاً مخوفاً، لا تسلكه الجموع الوافرة إلا على حال حذر واستعداد، وتلك المفازة مع قربها من أضر بقاع الأرض على المسافر، لأن المجاورين لها من أوضع خلق الله وأشدهم إذاية، لا يسلم منهم صالح ولا طالح"[50].

ولم تكن الطريق من مصراتة إلى سرت أقل خطورة، إذ هي براري في غاية الرداءة طبيعياً فهي "سباخ تدهش النواظر، وتذهل بفرط ما تهول الخواطر، ومياه تحل الأجسام وتثير كامن الأسقام"[51]، هذا ولم يقدر لنا العبدري مسافتها. ولم يكن الطريق بين سرت وبرقة أحسن حال، فقد ذكر لنا صاحب الرحلة أن الصعوبات تبدأ مباشرة بعد الخروج من سرت، " فهي أم البراري والقفار"[52]. فضلاً عن القساوة الطبيعية، يجد فيها ركب الحجاج صعوبة أخرى عند اقتناء ما يحتاجون إذ أن سكانها الأعراب لا يقبلون عملية البيع والشراء إلا عن طريق المقايضة " فلا يتوصل الحاج إلى شراء القوت إلا بعرض مبتذل وحال ممقوت"[53]. وتستمر خطوب الطريق إلى غاية الإسكندرية؛ فالطريق بين المدينتين فيه من الخطوب ما يستحق التسجيل، فهي " برية واحدة أرض ممتدة إلى الإسكندرية وفي آخرها المومأة المضنية المؤذية، أوحش المراحل على الراحل قفر لوبية، تستوحش منها القلوب وينسى مع رؤيتها كل خطب ينوب، فقربها كرب من أعظم الكروب ونوبتها على المسافر من نوائب الدهر"[54].

وسجل العبدري نفس استياء ابن جبير عند نزوله الإسكندرية، وأثار حفيظته نظام الجمارك في تفتيش الصادر والوارد فدعا لمحاربة هذا المنكر[55]، معلقاً: ".....أنهم يعترضون الحجاج، ويجرعونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج، ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج، يبحثون عما بأيديهم من المال ويأمرون بتفتيش النساء والرجال.....وذلك أنه لما وصل إليها الركب جاءت شرذمة من الحرس.....فمدوا في الحجاج أيديهم، وفتشوا الرجال والنساء وألزموهم أنواعاً من المظالم، وأذاقوهم ألواناً من الهوان، ثم استحلفوهم وراء ذلك كله"[56]. ثم أضاف :" وما رأيت هذه العادة الذميمة والشيمة اللئيمة، في بلد من البلاد، ولا رأيت في الناس أقسى قلوباً ....."[57].

ولم يخل البر الممتد من مصر إلى الحجاز من المخاطر الطبيعية القاسية، إذ كانت أطول البراري وأقفرها "وأرضها في نهاية الحروشة لا تمكن أحدا فيها المشي بغير المداس البتة...."[58]. ورغم هذه المصاعب الطبيعية إلا أنها كانت آمنة من المخاطر البشرية بسبب توفير الحماية من السلطة المصرية للحجاج، إذ كانوا سابقاً عرضة للصعاليك[59]. وبالتالي هذا الجزء من المسلك على طوله وصعوبته الطبيعية يعتبر من المواضع المريحة نسبياً بسبب الأمن.

كذلك تعتبر عقبة أيلة من المصاعب التي يتلقاها الحجاج في سيرهم إلى مكة عن طريق مصر، فهي صعبة المرتقى وشاقة، تقدر مسافتها ب5 أميال، ولم يقتصر ضررها على البشر بل طال الجمال بقتله لا سيما في خط الرجعة[60].

تواريخ مسار رحلة العبدري:

التاريخ	منطقة الإقلاع أو الوصول	أهم ميزات ملاحظات
25 ذو القعدة 688هـ	الإقلاع من حاحة	
5ربيع الأول689هـ	الانطلاق من تلمسان	مفازة كلها خطر
أواخر رمضان 689هـ	وصول القاهرة	
18شوال 689هـ	الخروج من مصر	براري قاسية طبيعياً
7 ذو الحجة 689هـ	دخول مكة	

تعليق على الجدول:

– لم يهتم العبدري بتسجيل تواريخ السفر إلا للمحطات الرئيسية، مع أن تدوينه للرحلة كان أول ما دخل تلمسان.

– اهتم العبدري في رحلته بتدوين سير العلماء ومجالسته لهم والحركة العلمية لا سيما بمدن المغرب الإسلامي، فجاء الرحلة ذات مضمون علمي أدبي أكثر من مذكرات يومية مقيدة بتواريخ.

– استغرق المسير إلى مكة المكرمة سنة وأزيد، وهذا بسبب استقراره المطوّل ببعض المدن للاستفادة العلمية كتلمسان مثلا.

ب. الطريق الصحراوي

هذا الطريق هو الآخر من الطرق البرية التي سلكها حجاج بلاد المغرب الإسلامي، وهو غير طريق العبدري، استخلص من رحلة العياشي* انطلق من بلده من أعمال سجلماسة** مع رفقة يوم الخميس أول ربيع الثاني سنة 1072هـ/ ١٦٦١م للالتحاق بالركب المجهّز بالمدينة المذكورة للخروج نحو بلاد الحجاز[61].

من سجلماسة انطلق الركب في خط سير أفقي نحو إقليم توات* مروراً على وادي الساورة** ومنها إلى أوكيرت[62]، وهي من بلاد تيجورارن، ومنه إلى واركلا*** وتعرف بوارجلان، ومنها إلى توكرت تقرت حالياً تابعة إدارياً لولاية ورقلة بالجزائر قاعدة وادي ريغ، وكان الحلول بها بتاريخ 14جمادى الثانية[63]، ومنها نحو سوف أو وادي سوفا*، ومنها نحو نفزاوة** بالمغرب الأدنى[64]، فزواغة***، وهي ملتقى وفود الحجيج المغربية القافلة من بلاد الحجاز، كما التقوا بركب المنطلق من المراكش[65]، وهي دلالة على أن الطريق من شمال إفريقيا للحج لم يكن واحداً في ذات الفترة.

من نفزاوة واصل الركب السير نحو طرابلس، وتصادف خروج الركب منها بخروج ست سفن على متنها نحو عشرة آلاف مقاتل[66]، وعليه لم تكن أوضاع البحر الأبيض المتوسط مستقرة، وقد يكون سبباً في عدم ركوب البحر بدل الطريق الصحراوي. ومن طرابلس إلى برقة ومنها إلى سرت، ويقال إن الثانية في عداد الأولى ومنها إلى مصر، استغرق مدة المشي من مسراته إليها 45 يوماً، وهي بإقرار من الرحالة ذاته أنها مدة زمنية قياسية، وتستغرق في الحالات العادية مدة شهرين وأزيد[67]. وكان الوصول إلى منطقة أنبابة بأراضي مصر يوم الأحد 25 رمضان، وفي اليوم الموالي اجتازوا النيل إلى مصر ونزلوا الأزهر بالقاهرة[68] ومن مصر إلى الحجاز براً، وفي هذا الطريق يشترك مسلك العبدري.

ميزات هذا المسلك:

هذا المسلك لا يقل خطورة عن بقية المسالك، وقد أدركه سالكه قبل معايشته؛ إذ عبر العياشي عن ذلك عند وداع أهله للانطلاق في رحلة الحج بقوله:"..... ومزجنا بحلاوة المتوقع مرارة الواقع، وقد يستشفى من بعض الأدواء باحتساء السم الناقع"[69]. ومع ذلك مفضّل هذا الطريق الصحراوي لا سيما في جزئه الغربي، لأنه يحوي على شبكة طرق القوافل التجارية مع بلاد السودان، مما يعني أن الطريق آمن إلى حد ما، باعتبار أن أغلب هذه الطرق تحت سيطرة القبائل لا سيما الزناتية لحراسة القوافل، مما يعني أن ركب الحجيج عليه تأدية خفارة المرور والحماية لها، مع أن صاحب الرحلة لم يشر لذلك. فضلا عن أن هذا الطريق تكثر فيه مراكز البيع والشراء مما يضمن التزود بالمؤن وقد أقر لنا صاحب الرحلة بهذا.

فمن مزاياه، أنه يمر على إقليم توات وهذا الأخير مجمع القوافل الآتية من تمبكت ومن بلاد أكيدز من أطراف السودان[70]، وفيه صرف الذهب أرخص وكذا سعر القوت من الزرع والتمر[71] وهذه المؤن من مستلزمات السفر الطويل. ولم تقل مزايا مدينة وارجلان عن سابقتها؛ إذ أنها مدينة القوافل التجارية والشراء والبيع فيها كثيف والتزود بالمؤن من الأمور اليسيرة[72].

ومع أن هذا الطريق له مزية عظيمة بالنسبة للحجاج من حيت سهولة البيع والشراء، واقتناء حاجاتهم، إلا أنه لا يخلو من جملة من الصعاب وهي في أغلبها طبيعية. فأول الصعوبات سجلت ما بين سجلماسة وإقليم توات، فهو في أوله حماد ومنه أرض حرشة وعرة " لا حطب فيها ولا كلأ ولا ماء، إلا ما في القرب وإلا فلا"[73]، ومن الحماد الكبير إلى وادي الأساور، ويعرف بوادي الساورة، يبعد بحوالي 10 أيام من توات "وهو أطول الأودية بالمغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة"[74].

كان الطريق من أوكرت إلى وارجلان يحتاج إلى دليل لصعوبة المسلك وتميزه بكثرة الرمال وصعوبة المشي به، لهذا اكترى رئيس ركب الحجاجدليلاً يدلهم على الطريق والموارد المائية، ومع هذا قاسى الركب قساوة شديدة على حد تعبير العياشي، ويضيف"ولقيت الإبل أضعاف ما لقينا"[75].

والمصاعب ما بين أوكرت ووارجلان لم يكن لها حد؛ إذ شهد فيها الركب عواصف رملية، ومروا بأرض حرشة " لا يسمع فيها إلا همساً، ولا يسلك الدليل فيها إلا حدساً.....في أرض مزقت من حروشتها النعال، وآلمت أخفاف الإبل وحوافر البغال، فلففنا على الأرجل الخرق والرقاع.....هي فيما رأينا شر البقاع.... ونراها في الجوع والعطش أعظم منها لا مثلها"،[76] ويعتبر هذا الجزء من أشد المفازات صعوبة طبيعياً على مستوى المغربين الأقصى والأوسط.

وتتواصل المخاطر التي تواجه ركب الحجيج الذي يسلك هذا المسلك على مستوى المغرب الإسلامي، فبعد الخروج من طرابلس وفي أعمالها تكثر السرقة لدرجة أن الحجاج يقضون ليلهم مستيقظون" في ضجيج وعجيج، وصياح ونباح" ومع ذلك قلما سلمت لهم ليلة من سرقة شيء[77]

وتسجل آخر الصعاب حسب رحلة العياشي بأرض التيه* بعد العقبة "وهي ارض مقفرة موحشة طويلة عريضة معطشة"[78]

تاريخ مسار رحلة العياشي:

التاريخ	مكان الانطلاق أو الوصول	أهم الملاحظات
الخميس1ربيع الثاني1072هـ - 1661	الخروج من بلده من أعمال سجلماسة	
الأربعاء7 ربيع الثاني	دخول سجلماسة	
السبت10 ربيع الثاني	الخروج من سجلماسة	
الخميس آخر يوم من ربيع الثاني	الوصول إلى توات	مريح ليسر البيع والشراء
الخميس 7جمادى الأولى	الخروج من توات	
الثلاثاء12جمادى الأولى	الخروج من أوكرت	طريق حرشة متعبة ومهلكة للأقدام =تحتاج إلى دليل
الجمعة29جمادى الأولى	دخول أعمال وارجلان	محط القوافل بيع والشراء
الاثنين2 جمادى الثانية	الخروج من وارجلان	
السبت 14 جمادى الثانية	نزول تكرت بوادي ريغ	
الأربعاء18 جمادى الثانية	الخروج من تكرت	
الأربعاء 17رجب	دخول طرابلس	
السبت26رجب	الخروج من طرابلس	كثرة السرقة بأعمالها
الأحد 5شعبان	دخول برقة	
الأحد 25 رمضان	دخول أنبابة من أرض مصر	

الخميس 27 شوال	الخروج من مصر	أرض مقفرة موحشة معطشة
السبت 5 ذو الحجة	دخول مكة المكرمة	

التعليق:

– اهتم العياشي بتسجيل تواريخ الرحلة، واستغرقت مدتها 8 أشهر وأزيد، وهي المدة العادية والطبيعية، لم تكن قياسية ولم يتخلف أو يتباطأ الركب عن المسير لسبب غير تلك المعيقة للسفر.

الخاتمة:

بناء على ما تقدم اتضح أن:

– تعددت مسالك الحج من شمال إفريقيا إلى بلاد الحجاز من حقبة تاريخية لأخرى وسيط، حديث بين بحرية وبرية متنوعة، تحكمت في ذلك سمات العصر الدولية، بمعنى آخر للأحداث السياسية والعسكرية المحلية والدولية دورا في تحديدها.

– المسالك على اختلافها تميزت بالطول وشملت مخاطر وصعاب طبيعية وبشرية، ومع ذلك لم تكن مانعاً وحاجزاً حال دون أداء المغاربة لفريضة الحج.

–كان الازدهار التجاري من العوامل المحددة في اختيار المسلك المناسب والمريح إلى حد ما.

وإن تعددت المسالك على مستوى المغرب الإسلامي، إلا أنها تشترك في جزئية مصر والإبحار من مرفأ عيذاب نحو بلاد الحجاز.

– باعتماد الرحلات الثلاثة لا حظنا الأفضلية للطريق البري الرابط بين مصر والحجاز عن مرفأ عيذاب الذي يعتبر النقطة السوداء على الإطلاق في طرق الحج لحجاج شمال إفريقيا. كما لم يكن الطريق البحرى من مرسى طور عبر بحر سيناء وصولا إلى الينبع معتمد إلا نادرا[79].

– ما سجل أن الذهاب عن طريق مصر براً أو بحراً عبر مرفأ عيذاب كان مفضلاً مقارنة بالإبحار نحو السواحل الشامية.

الهوامش:

(١) أمثلتنا على ذلك رحلات من المغرب الأوسط الجزائر، رحلة المقري التلمساني٧٥٩هـ/١٣٥٨مألفها في شعر فصيح، والرحلة مطبوعة، ورحلة المنداسي التلمساني ١١٥٠هـ/١٧٣٧م، كتب الرحلة في نمط الشعر الملحون، وابن مسايب التلمساني١٥٨٠هـ/١٧٦٦م نظم الرحلة في شعر الملحون ورحلة الورثيلاني البجائي ١١٩٩هـ/١٧٧٩م دوّن الرحلة في شكل كذلك نثري والقائمة طويلة.

(٢) أحصاها الباحث عبد الهادي التازي في بحثه: رحلة الرحلات– مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٦–٢٠٠٥.

(٣) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص٥.

(٤) هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني من أ صل عربي دخل أسلافه الأندلس في ق ٣هـ/٩م، التحق بأعمال الدواوين والكتابة بولاية غرناطة على العهد الموحدي، ومع أنه كاتب وشاعر إلا أن شهرته ترجع لرحلته تلك. ترجم له المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨، ١٩٦٨، ج٢، ص٣٨١.

(٥) تبين أن له ثلاث رحلات، الأولى كانت ما بين٥٧٨-٥٨١هـ/١١٨٣-١١٨٥م وهي التي دونها. أما الثانية فكانت ما بين ٥٨٥-٥٨٧هـ/١١٨٩-١١٩١م، أما الأخيرة فكانت سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م والأخيرتان لم يدونهما. كراتشكوفكسي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ليننغراد، ص١٩٥٧، ج١، ص٢٩٩

(٦) المرجع نفسه، ص٢٩٩

(٧) ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠١، ص٥.

(٨) المصدر نفسه، ص٥.

(٩) حول الوجود الصليبي بسواحل الشام تراجع المصادر الإسلامية مثل: أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧. ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، دار الفكر بيروت، د ط، د ت. وغيرها

(١٠) أبرم الخليفة بالدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي معاهدة سلام وتجارية مع جمهورية جنوة سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣-١١٥٤م وتجددت سنة ٥٥٦هـ / ١١٦١م، وفيه سمح لسفن جنوة بالتجارة مع كل مراسي المغرب الإسلامي. أحمد عزاوي، رسائل موحدية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠١، ج٢، ص٩٢ .

Mascarelle. Anna, quelques aspacts des activités Italiennes dans le Maghreb Médiéval, Revue d' histoire et civilisation du maghreb, ed l' institut pedagogique nationle, Alger, N5,1968, pp55-56

وبذلك أصبح للجنويين حق المتاجرة مع سواحل الدولة الموحدية بشكل رسمي. بداية من النصف الثاني من القرن ٦هـ/١٢م نجد تحول في تجارة مع الموانئ المغربية بحيث تعاملت مع مرسى سبتة بشكل مكثف بالرغم من بعد المسافة مقارنة بمرسى تونس وبجاية، هذه النسب تعرف تغيير كلي بعد النصف الثاني من القرن ذاته وبالخصوص في فترة الخليفة أبو يوسف المنصور، إذ ما بين ٥٧٤-٥٩٦هـ /١١٧٩-١٢٠٠م يصبح لسبتة حصة الأسد في المعاملات التجارية مع جنوة إذ قدرت نسبتها بـ ٥٤.٨% لأنها تشكل نهاية خطاً ملاحياً أساسياً في تجارة بحر الأبيض المتوسط.

(١١) جزيرة ميورقة: هي جزيرة في البحر الزقاقي، تسامتها من القبلة بجاية من بر العدوة... ومن الجوف برشلونة من بلاد أراغون .... ومن الشرق إحدى جزيرتيها منورقة وبينهما مجرى في البحر طوله أربعون ميلاً، وشرقي ميورقة هذه جزيرة سردانية، بينهما في البحر مجريان، وغربيها جزيرة يابسة بينهما مجرى في البحر طوله سبعون ميلاً، وغربي يابسة مدينة دانية من بر الأندلس بينهما في البحر سبعون ميلاً، وميورقة أم هاتين الجزيرتين وهما بنتاها. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٥٦٧.

١٢ ابن جبير، المصدر السابق، ص٩

١٣ نفسه، ص ٥.

١٤ كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ج١، ص٢٩٩.

* عيذاب: مدينة في أعلى الصحراء المنسوبة إليها في ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة، وهي تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط في البر خمس مراحل. الحميري، المصدر السابق، ص٤٢٣.

١٥ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٤-١٩٩٤، ج١، ص١٣٤.

١٦ ابن جبير، المصدر السابق، ص٤٧.

١٧ المصدر نفسه، ص٦.

١٨ المصدر نفسه، ص٩.

١٩ نفسه، ص١٠

* أخميم: هي مدينة في شرقي النيل وتبعد عنه نحو ميلين، وبها نخل كثير وقصب السكر. الإدريسي، المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧.

** قفط: مدينة بالديار المصرية، متوسطة المقدار أولية...بينها وبين قوص أربعة أميال...وهي متباعدة من النيل. الحميري، المصدر السابق، ص٤٧٧.

٢٠ ابن جبير، المصدر السابق، ص٣١

٢١ نفسه، ص٣١

٢٢ نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية ق9هـ، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008+1428 ، ص ٤٨.

٢٣ ابن جبير، الرحلة، ص٣١-٣٢

٢٤ نفيسه، ص٣١.

٢٥ نفسه، ص٣١.

26 نفسه، ص٤٠

27 نفسه، ص٤٠.

28 يراجع كيفية صنعه عند ابن جبير، المصدر السابق، ص٣٨-٣٩.

29 المصدر نفسه، ص٣٩.

٣٠الإدريسي، المصدر السابق، ص١٣٥.

٣١ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٧-١٩٨٧، ج١، ص٧٢-٧٣.

* ميلة: مدينة حسنة كثيرة الأشجار، محاسنها ظاهرة ومياهها عذبة، كانت في طاعة صاحب بجاية، بينها وبين قسنطينة ١٨ ميلاً. الحميري، المصدر السابق، ص٥٦٩. ولا زالت تحتفظ بنفس الاسم ليومنا هذا.

٣٢ هو أبو عبد الله محمد من محمدبن علي بن أحمد بن سعود العبدري، ينتهي نسبه إلى عبد الدار بن قصي بن كلاب ، تجهل المصادر تاريخ ولادته ووفاته بدقة، وهو من كبار فقهاء المالكية. ترجم له محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تخريج وتعليق عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424-2003، ج1، ص312.

٣٣ العبدري، رحلة العبدري، تح وتق علي إبراهيم الكروي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، ١٤١٩-1999، ص40.

108المصدر نفسه، ص 34

٣٥ ابن الشماع، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص72-73.

٣٦ كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ج1، ص367.

37 العبدري، المصدر السابق، ص183.

38 المصدر نفسه، ص184

* سرت: مدينة في برقة بينها وبين طرابلس130ميلاً، وبينها وبين البحر ميلان. الحميري، المصدر السابق، ص 312 .

٣٩ الإدريسي، المصدر السابق، ص298.

٤٠ المصدر نفسه، ج1، ص311-317

٤١ كان آنذاك السلطان قلاوون من المماليك، تولى السلطنة على مصر سنة678هـ بأمر من الظاهر بيبرس، وحقق انتصارات عديدة على التتار، وتوفي بالقاهرة سنة 689هـ ترجم له: ابن أياس، بدائع الزهور ، تح مدال مصطفى، القاهر، 1982 ، ج1، ص347-364

٤٢ العبدري، المصدر السابق، ص330

* أيلة: في طريق مكة من مصر وهي أول حد الحجاز وبها يجتمع حجاج مصر والمغرب. الحميري، المصدر السابق، ص70.

٤٣ العبدري، المصدر السابق، ص337.

* ينبع:على تسعة برد من المدينة في طريق مكة. الحميري، المصدر السابق، ص621.

٤٤ نفسه، ص337

٤٥ العبدري، المصدر السابق، ص341.

٤٦ المصدر نفسه، ص343+344

٤٧ الجحفة: قرية بالحجاز بينها وبين البحر ستة أميال، وبينها وبين مكة نحو ستة وسبعين ميلاً، وهي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب. الإدريسي، المصدر السابق، ص142. الحميري، المصدر السابق، ص156.

٤٨ العبدري، المصدر السابق، ص358.

٤٩ المصدر نفسه، ص33

* المفازة هي البرية القفر المهلكة، وسميت بذلك تفاؤلاً من الفوز والنجاة. العبدري، المصدر السابق، الهامش رقم1، ص45.

٥٠ العبدري، المصدر السابق، ص45

٥١المصدر نفسه، ص200

٥٢ المصدر نفسه، ص203

٥٣ المصدر نفسه، ص204

٥٤ المصدر نفسه، ص210

٥٥ نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص30+29

٥٦ العبدري، المصدر السابق، ص216

٥٧ المصدر نفسه، ص216

٥٨ المصدر نفسه، ص330

٥٩ المصدر نفسه، ص330

٦٠ المصدر نفسه، ص339

* هو الرحالة المغربي عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى العياشي، ولد في 29شعبان1037 هـ/ 4ماي1628 م، له ثلاث رحلات الأولى سنة 1059هـ/١٦٤٩م والثانية سنة1064هـ/1654م والأخيرة وهي المقيدة كانت سنة١٠٧٢هـ/١٦٦١م، وتوفي بالطاعون سنة 1090هـ 1679م. ترجمته في مؤلفاته اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر= فهرس أبي سالم العياشي ق11هـ/17م، تح نفيسة الذهبي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1996. ومؤلفه: إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، تح محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999

ترجم له كذلك، محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص454-455

** سجلماسة: من أعظم مدن المغرب، وهي على طرف الصحراء، بينها وبين غانة مسيرة شهرين، أسست سنة 140 هـ، وهي مقصد للصادر والوارد، ولها أثنا عشر باب. الحميري، المصدر السابق، ص305-306

٦١ العياشي، الرحلة العياشية، 1661-1663، تح سعيد الفاضلي – سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006.

* توات: هي في صحراء أعلى المغرب ، بينها وبين سجلماسة 13 يوماً، عدد قصورها في ق11هـ 200قصر، وهي عبارة عن إقليم يقع في المنطقة الغربية للصحراء الجزائرية، وهي ولاية أدرار حالياً، أهم قصوره بودي، تيميمون، تمنطيط، ويتوسط الأخير مجموع طرق القوافل التجارية مكنها من ارتباط تجاري وثقافي مع المدن المحيطة بها من المغرب الأقصى وشمال الجزائر ومدن السودان الغربي وليبيا ومصر. أحمد جعفري، مدينة تمنطيط ودورها التجاري وسط الصحراء حتى نهاية ق13هـ، touat .net. www15+8+20161400

** الساورة : هي منطقة الجنوب الغربي الجزائري، تضم حالياً ولاية بشار وأدرار وتندوف، أخذ الإقليم اسمه من الوادي الذي يخترقه وهو وادي الساورة الذي يخترقها من الشمال إلى الجنوب ومنبعه من جبال الأطلس الكبير، طوله 1200 كلم.

٦٢ المصدرنفسه، ص81

*** وارجلان: في طرف الصحراء مما يلي أفريقية، بينها وبين القيروان 31يوم، وهي محط القوافل التجارية. الحميري، المصدر السابق، ص600 . وهي ولاية ورقلة حاليا بالجنوب الشرقي للجزائر

٦٣ المصدر نفسه، ص120

* توكرت: مدينة بالقرب من درجين وبقرب من نفطة من البلاد الجريدية. الحميري، المصدر السابق، ص333. وهي اليوم ولاية الوادي في الجنوب الشرقي للجزائر شمال ولاية ورقلة وهي من الولايات الحدودية لتونس.

** نفزواة: مدينة لها ستة أبواب بينها وبين القيروان ستة أميال، وبينها وبين قابس ثلاث مراحل. الحميري، المصدر السابق، ص 578.

64 نفسه، ص125

*** زواغة: من بلاد إفريقية، سميت كذلك نسبة للقبيلة التي تقطنها. الحميري، المصدر السابق، ص295.

٦٥ نفسه، ص132

٦٦ نفسه، ص177

٦٧ نفسه، ص220

٦٨ نفسه، ص227 +224

٦٩ نفسه، ص67

٧٠ نفسه، ص 80+79

٧١ نفسه، ص79

٧٢ نفسه، ص114

٧٣ نفسه، ص75

٧٤ نفسه، ص76

٧٥ نفسه، ص107

٧٦ نفسه، ص114+113

٧٧ نفسه، ص 177

* التيه: أرض بمقربة من أيلة بينهما عقبة لا يصعدها راكب لصعوبتها، وهي مقدار أربعون فرسخاً، وطول فحصه نحو ستة أيام. الحميري، المصدر السابق، ص.

78 نفسه.

٧٩ سلك هذا الطريق ابن خلدون في رحلته لبلاد الحجاز، ابن خلدون، رحلته ضمن كتاب العبر، دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 2003، مج2.